الموقف من الغرب الأوربى
من خلال كتابات

الإمام عبد الحميد بن باديس
(١٨٨٩ - ١٩٤٠)

د . السيد محمد عشماوى
مدرس بقسم التاريخ - كلية الاداب
جامعة القاهرة

تحاول هذه الدراسة ، التركيز على بعض النقاط الأساسية ، من الضرورة ، التنويه عنها :

النقطة الأولى : انها تركز على فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين ، وهى فترة هامة فى تطور الجزائر السياسى والاجتماعى حيث تشكلت أفكار الحركات القومية التحررية ، وبرزت بصفة خاصة أفكار حركة تجديد الفكر الاسلامى ، والذى لا شك فيه أن تأثير الغرب الأوروبى (فرنسا) قد حدد إلى حد ما عملية التطور التاريخى ، فالاحتلال الفرنسى باستغلاله واضطهاده للشعب الجزائرى ، قد ساعد من الناحية الموضوعية على الاسراع بعملية التطور التاريخى ، حركة تجديد الفكر الاسلامى أرتبطت أفكارها وحركتها بالموقف من الغرب عامة وبالسياسة الفرنسية خاصة ، تلك التى لعبت دور الحافز الرئيسى على استثارة وابراز ديناميكية هذه الحركة التى أخذت فى النمو والتطور ، كان التنبيه إلى نجاح قوة الغرب (المجال التقنى خاصة) وتقدم هياكله السياسية والاجتماعية والثقافية ، والتنبيه إلى نقد مظاهر مدنية الغرب فى اطار الموجة العامة لمعاداة الاستعمار ، مع محاولة التعرف على سر قوة الغرب ، كان رد الفعل العربى الاسلامى على الاضطهاد القومى والمسخ الحضارى للسياسة الاستعمارية الغربية هى ابرز سمات هذه الفترة والتى هى ـ على حد مقولة أحد الباحثين [1] ـ من أخطر الفترات التاريخية فى الحياة الدينية والثقافية للجزائر المعاصرة .

والباحث المدقق ، يجد أنه نادرا حقا ، تلك الأمم التى تشبه حال الامة الجزائرية فى تحديها الحضارى للظروف التى فرضت عليها ، فقد خرجت هذه الامة دون أن تندمج أو تمسخ هويتها العربية ـ الاسلامية فى مواجهة الغرب ، ودون أن تصبح امتدادا لفرنسا الاستعمار الاوروبى ، الذى حاول احتواء سكانها بالعنف المتمثل فى السحق القومى

(1) Merad: Le Reformisme Musulman en Algerie (1925-1940), P.P 42-43.

لعروبتهم واسلامهم ، وتكريس التخلف الحضارى مستغلا بعض الجيوب الداخلية (جماعة النخبة من الاندماجيين ـ الطرقية ـ النزعة البربرية) لتدعيم سيطرته وعرقله بالتطور الحضارى .

النقطة الثانية : تساهم هذه الدراسة على تدعيم التواصل بين المشرق العربى ، والمغرب العربى وتعريف جيل الدارسين الجدد ، على أحد أعلام تجديد الفكر الاسلامى فى الجزائر وهو الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٩٨٩ ـ ١٩٤٠) ، والذى كان يستشهد دائما ببيت من الشعر له دلالته فى هذا المجال [١] .

ونحن فى الشرق والفصحى ذو ورحم * * ونحن فى الجرح والالام أخوان

نحن بازاء شخصية ـ كما يرى مالك بن نبى [٢] ـ تجمع فى طياتها جوانب بلغت من التنوع والغنى مبلغا يجعل فى قدرة الباحث ـ دوما ـ أن يتطرق إلى دراستها من زاوية تحرر الفكر من الظروف العرضية النسبية .

---

(١) عمار طالبى : أبن باديس ، حياته وآثاره ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٢) من مقدمته لكتاب (أبن باديس ، حياته وآثاره) ج ١ ، ص ١٠ .
الدور البالغ فى الاهمية والذى لعبه أبن باديس فى تاريخ الجزائر ، جعلت أحد المؤرخين (أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٢ ، ص ٤١٣) يذكر (من الممكن أن نقول أنه لا وجود لشخصية فى العصر الحديث أثرت على كامل المجتمع الجزائرى كما فعل أبن باديس) فى الثلاثينيات ذكر ديبارمى Desparment أن الجزائريين كانوا يسمون أبن باديس (مرشد الامة) ، (امام البلاد) ، (أبا النهضة) .
(Un reformateur Contemparain en Algerie-L'Afrique Francaise, March (1933) P.P 149-156).

وفى عام ١٩٣٥ اعتبر الشيخ المغربى أبن باديس (أبا النهضة الجزائرية) ، (سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣٥) المطبعة الاسلامية الجزائرية ، ص ١٨٤) ويذكر مالك بن نبى (شروط النهضة ، ص ٢٢ ـ ٢٧) أن (معجزة البعث) بدأت تتدفق من كلمات أبن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة وبدأ الشعب الجزائرى المخدر يتحرك تحت تاثير دعوة حركته الاصلاحية .

ويذكر عبد الله شريط (معركة المفاهيم) أن أبن باديس كان يعمل عمل أمة وقد عجز الاخرون عن أن يعملوا عمل هذا الرجل ، ويذكر محمد الميلى (أبن باديس وعروبة الجزائر ، ص ١١) أن الاسهام الذى قدمه أبن باديس لحركة الاصلاح الدينى كان نتيجة تحليله للظرف الخاص الذى كانت تمر به الجزائر فيما بين الحربين اكثر مما كان نتيجة تفلسف نظرى وبحث فى التجريد .

أبن باديس يمثل ذلك التيار السلفى (الاصولى) العقلانى المستنير والذى كانت مهمته الاساسية تجديد الفكر الاسلامى وتكوين كيان جزائرى قائم على الثقافة العربية الاسلامية [1] ، ورفض النفوذ الغربى ، كان حلمه تشكيل مجتمعه على نموذج الجماعة الاسلامية فى صدر الاسلام ولم يحاول أن تكون مهمته التوفيق بين الاسلام وبين نمط الحياة الحديثة ، أى قيم وممارسات المجتمع الغربى الرأسمالى ، لم يحبذ النقل الالى إلى التربة العربية الاسلامية معايير ونظم وايديولوجيات الغرب الاوروبى ، وان كانت هناك قرائن تشير إلى دعوته إلى الاستفادة من منجزات الغرب المتحضر .

الا أنه فى التحليل النهائى كرس حياته لارساء (جذور الاصالة) [2] الثقافية ، واستمد مناهجه ـ كما يؤكد أحد الدارسين [3] ـ من القران والسنة وحياة السلف الصالح وحاول تطبيقه على الواقع الاسلامى ، متخذا من الاسلام قوة قادرة على توحيد وحفز الشعب الجزائرى من أجل التحصن ضد الثقافة الاستعمارية الغازية ، هذا الاسلام ـ فى أعلى صوره ـ ليس احكاما جامدة ولا كهنوتيه ولا أذكارا ، لم يكن (وراثيا) فى تصوره فحسب ، بل اسلاما (ذاتيا) [4] هدفه تنوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الاعمال ، فيكمل الانسانية وينظم الاجماع ويشيد العمران ويقيم ميزان العدل وينشر الاحسان .

النقطة الثالثة : تبرز هذه الدراسة أهم اتجاهات السياسة الفرنسية فى الجزائر المعبرة عن (الروح الاستعمارية) للغرب الاوربى والتى حاولت ترسيخ المسخ القومى

---

(1) Julien: L'Afrique du Nord en march, P. 114.

(٢) مفدى زكريا (اليادة الجزائر) ص ٣٩ .

(٣) عبد الحميد درويش : عبد الحميد بن باديس ، ص ٥ .

(٤) الاسلام الذاتى والاسلام الوراثى ـ أيهما ينهض بالامم ؟) مقال نشره أبن باديس فى الشهاب (فبراير ١٩٣٨) حدد فيه الاسلام الوراثى بالاسلام التقليدى الذى يؤخذ بدون نظر ولا تفكير المبنى على الجمود والتقليد أما الاسلام الذاتى فهو اسلام من يفهم قواعد الاسلام ويبنى ذلك على الفكر والنظر بحكم العقل والبرهان مع الشعور والوجدان .
(عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢)

والسحق الحضارى لهوية هذه الامة ثم رد الفعل العربى الاسلامى على ذلك من خلال كتابات أبن باديس ، وبالتالى فهذه الدراسة تنطلق أساسا من التصور العام (المسلمون وأوربا) لتضع بعض البصمات على محور (أوروبا فى كتابات المسلمين) .

(الروح الاستعمارية الفرنسية فى الجزائر)

أول ضحية عربية اسلامية للتوسع الاستعمارى الغربى فى مرحلة التطور الرأسمالى التى سبقت ظهور الاحتكارات ، كانت الجزائر ، ومع الغزو الفرنسى الذى بدأ عام ١٨٣٠ بدأ تفويض نمط الحياة السائد ، وجرى تدويل وسائل الانتاج والسلع والمواصلات وأرتبط السوق المحلى بالسوق الغربى وتغلغلت المعارف ونمط الأفكار الاوروبية ، وتحت تهديد الفناء اجبرت فئات كثيرة على قبول اسلوب الانتاج الغربى وعلى تبنى انماط ما سمى بالمدنية أو (التحديث) .

التدخل الاستعمارى الفرنسى ، ذلك (الاداة غير الواعية للتاريخ) * ، كانت له جرائم لا تحصى فى حق الشعب الجزائرى ، بواسطة القوة المسلحة وأعمال التدمير والتخريب واثارة النزعات العرقية واستفزاز المشاعر الدينية وتدمير الثقافة القومية والاستيلاء على الثروة الطبيعية مما عجل بعملية التطور ولعب من الناحية الموضوعية دور المستفز فى انتاج رد الفعل المعادى له ، خاصة وأن القدرة الدفاعية والثقافية الوطنية لدى الشعب الجزائرى كانت مقترنة بالاسلام .

---

* هذه المقولة تركز على أن الغزو الفرنسى حمل عن وعى إلى الشعب الجزائرى الظلم والقهر والاستعباد ، وأيقظ فيهم وهو لا يدرك الشعور بالاحتجاج مما دفعهم إلى المقاومة وخلق مناخا لتفجر الحركات القومية - التحررية ، يقول جليسبى فى كتابه (ثورة الجزائر ، ص ٢٥) أنه على الرغم من أن العقود الاربعة الاولى من القرن العشرين والتى اطلق عليها (عصر المستوطنين الذهبى) الا أنه سمع فيها أولى همسات (القومية الاسلامية الجزائرية) ويقول أحمد توفيق المدنى (هذه هى الجزائر ، ص ١٦٦) أن احتفال الفرنسيين (١٩٣٠) بمرور قرن على احتلالهم الجزائر ومناداتهم بأن « الجزائر فرنسية وستبقى فرنسية إلى الابد » اثار المشاعر والجرح الدامى من جديد وقدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الاقل .

ويمكن أن نركز على القسمات الأساسية التى عبرت عن (الروح الاستعمارية) للسياسة الفرنسية فى الجزائر والتى حددت - موضوعيا - تصور أبن باديس للغرب الأوروبى فى النقاط التالية .

١ - (الجزائر فرنسية)

اتبع الفرنسيون (نظاما مباشرا فى الحكم) [١] شكل عنصرا هاما فى سياسة الادماج التى اتبعتها فى الجزائر ، وصدرت عدة تشريعات اعتبرت الجزائر (مقاطعة) من فرنسا وليست (مستعمرة) أو (محمية) فقانون عام ١٨٦٥ المعروف بسانا توس كونسولت قد جعل الجزائريين (رعايا فرنسيين وليسوا مواطنين) وبالاضافة إلى ذلك فانهم كانوا خاضعين منذ السبعينات من القرن الماضى إلى قوانين استثنائية عرفت فى مجموعها باسم (قوانين الاهالى) [٢] .

استندت سياسة فرنسا الاستعمارية فى الجزائر إلى الاقلية الفرنسية (المواطنين) وإلى استعباد غالبية العرب والبربر (الرعايا) الذين عاملتهم (بصلف عنصرى) [٣] ، فرضت عليهم الضرائب وحرمتهم من الحقوق الانتخابية وحق اصدار الصحف وتأليف احزاب سياسية أو نقابات خاصة بهم ، بل من حق عقد الاجتماعات الا بعد موافقة السلطات ، والادهى أن السلطات الفرنسية اصدرت عدة قرارات بمنع تداول الجرائد المصرية ، وتعجب محمد فريد من هذه الاجراءات التعسفية اثناء زيارته للجزائر (فلم أجد فى جميع مدينة الجزائر نسخا من اللواء ولا من المؤيد مع أن المشتركين فيها

---

(١) ليفين : تطور الفكر الاجتماعى العربى ، ص ٥٧ .

(٢) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص ٤٣٧

ويعتبر اوضح قررت هذه التشريعات أن للجزائرى رعوية فرنسية من حيث الجنسية ولكن ليس مواطنا له حقوق الفرنسيين اذا ظل محتفظا بتشريعه الاسلامى ، أنظر (فيليب رفله : الجزائر ، ص ٧٣) .

(٣) ليفين : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

بكثيرون) [1] ، وطوال عصر الاحتلال كرست السياسة الفرنسية (سياسة الاندماج) [2] ، وردد بعض كبار السياسية الفرنسيين شعار (الجزائر فرنسية) وحاول ايجاد المبررات التاريخية لخدمة الاهداف السياسية - على سبيل المثال - جول رومان Jule Romains كتب في صحيفة « الاورور » عدة مقالات ذات صبغة عرقية صارخة زاعما بأن (الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن الا بداية لحملة الاستعادة هذه التى هى مشروعة تماما مثلما كانت مشروعة حملة الاستعادة Reconquista التى شنتها اسبانيا على العرب فى اواخر العصور الوسطى) [3] .

حمل الغزو الفرنسى صورة (الرسالة الحضارية) وعبء الرجل الابيض إلى الشعوب المتخلفة واستندت هذه الرسالة الى ما سمى (المركزية الاوروبية) حيث تصبح أوروبا مركزا للاشعاع الحضارى ، والعودة إلى الماضى فأن الحضارتين اليونانية والرومانية تبدو أن أسبق من الحضارة العربية الاسلامية ، فهذه الاخيرة لم تكن سوى ساعى بريد أدى الامانة إلى أهلها ، يقول أحد الكتاب الفرنسيين وهو برنارد : (اننا حضرنا إلى

---

(١) محمد بك فريد : من مصر إلى مصر (رحلة محمد فريد إلى ايطاليا وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومالطه - مصر ١٩٠٢) ، راجع كذلك كتاب الدكتور محمد ناصر : المقالة الصحيفية الجزائرية نشأتها ، تطورها ، أعلامها من ١٩٥٣ - ١٩٣١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) حول تفاصيل سياسة (الاندماج) أو ما ترجمها البعض (الامتصاص - التجنيس - الاهتمام - المطابقة Assimilation أى محاولة جعل أهل البلاد الاصليين طبق الاصل من الفرنسيين راجع (زاهر رياض استعمار افريقية ص ٣٢٥ - ٣٢٣) ومنذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٣٤ تجنس أقل من ٢٥.٠٠٠ مسلم جزائرى بالجنسية الفرنسية وهذا يؤلف المعدل المضحك وهو ٣٦ شخصا فى العام (ليون فيكس : الجزائر حنف الاستعمار ، ص ٣٢) .

(٣) ليون فيكس : نفس المرجع ، ص ٥ .
هناك صورة حمل لواءها (لويس برتراند) وهى فكرة الجزائر اللاتينيه وكأن الجزائر قطعة من فرنسا على الاحفاد أن يعيدوها إلى البلد الام (عامر مخلوف : ملامح الحركة الثقافية قبل حرب التحرير ، جزيدة النصر الجزائرية ، ٢٩ مايو ١٩٨٦ ، ص ٧) .
ذكر موريس فيوليت الحاكم العام السابق للجزائر (أن مرور مائة سنة على تحرير الدول البربرية حادث عظيم يجب أن نحى ذاكره بكل فخر) راجع بوالصفصاف : جمعية العلماء المسلمين (الجزائريين ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٣١ - ١٩٤٥) ص ٨٦ - ٨٧ نقلا عن مجلة الشباب (ديسمبر ١٩٢٨) .

الجزائر لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية ولا هى دومينيوم مثل كندا ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما ، اننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هيجو) [١] .

فى عام ١٩٣٠ نصب الفرنسيون تمثالا للمهندس بوتان Boutain فى مدينة دالى ابراهيم وكتبوا عليه (اعتراف بالجميل إلى بوتان ، رجل الهندسة البحرية ، الرجل الذى جعلنا نتمكن من الانتقام لشرف اوروبا وللانسانية جمعاء من مدينة الجزائر والذى تمكنا بفضله من جعل الجزائر فرنسية إلى الابد) [٢] .

٢ - (صليبية جديدة)

التوسع الاوروبى عامة كان يتطابق فى وعى المسلمين مع الصراع الازلى بين الغرب المسيحى والشرق المسلم ، بل مع استمرار الحملات الصليبية وذيولها ، وكان من شأن الحروب العثمانية مع الروسيا (١٨٧٨) واليونان (١٨٩٧) وايطاليا (١٩١١) وغيرها ، ان خلقت انطباعا لدى الكثيرين بأن الغرب المسيحى يواجه الشرق المسلم ، وكما يؤكد الامام محمد عبده فقد وصل الامر بأحد الكتاب الفرنسيين إلى حد الموافقة على مطلب ابادة المسلمين ببساطة ونقل رفات النبى صلى الله عليه وسلم على متحف اللوفر .

---

* فى حديث الكاتب السياسى الاستعمارى الفرنسى جابرييل هانوتو الكثير عن هذا الصراع الحضارى بين الحضارة الاوروبية التى يسميها (المدنية الارية المسيحية) وبين الحضارة العربية الاسلامية التى تشد العرب - كما يقول إلى (الماضى الاسيوى) يتجلى فرح المستعمرين بما لاح لهم من نجاح هذا المخطط فى بعض اقطار الشمال الافريقى - تونس - وهو النجاح الذى تحدث عنه هانوتو بقوله : (يوجد الان بلدا وأرضا تنفلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضى الاسيوى) راجع محمد عماره : العرب والتحدى ، ص ٢٩٧ نقلا عن محمد عبده وآخرون : الاسلام والرد على منتقديه ، طبعه القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٢٧) .

(1) Bernard, Augustin: Historie des Colonies Francaises, P.533.

(٢) بو الصفصاف : المرجع السابق ، ص ٨٩ (نقلا عن جريدة النجاح ، ١٣ يونيه ١٩٣٥) .

ويؤكد الدكتور محمد البهى أن تأكيد الروح الصليبية تتضح أيما وضوح فى كتابة المستشرقين الفرنسيين ولو فتشنا عن ذلك لوجدناه فى احتضان فرنسا للكثلكية وزعامتها الصليبية ، فروح الصليبية لم تزل حية فى نفوسهم ولم يزالوا يصدرون عنها فى احكامهم على الاسلام والمسلمين وفى معاملتهم للمسلمين كذلك الخاضعين لاستعمارهم أو سيطرتهم بوجه ما ، ويضيف (لم أر فى دراستى للاستشراق حتى الان مسيحيا بروتستينيا عالج التراث الاسلامى بأسلوب الكاثوليكى ولا بروحه الحاقده) [١] .

أثناء الاحتفالات بمرور قرن على الاحتلال فرنسا للجزائر ردد أحد الفرنسيين المتعصبين مقولة (أن عهد الهلال قد غبر وأن عهد الصليب قد بدأ ، وأنه سيستمر إلى الابد ، وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها الانجيل) [٢] .

وقال فرنسى اخر (أن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر ، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الاسلام فيها ..) [٣] .

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .
قليلة هى الدراسات التى تحاول الربط بين اتجاهات السياسة الفرنسية فى الشرق العربى وتلك التى فى المغرب العربى ، تلك التى تركز على سياسة (فرق تسد) وتثير الروح الصليبية فى ثوبها الجديد ، قبل أبن باديس خاض الافغانى اثناء اقامته فى باريس عام ١٨٨٣ صراعا فكريا ضد رينان Renan (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) عندما تهجم على العرب والاسلام (راجع أحمد امين زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، ص ٨٥ ـ ٩٣) ورد الشيخ محمد عبده على هانوتو وزير الخارجية الفرنسى نشر فى اوائل عام ١٩٥٥ مقالا بعنوان (وجها لوجه مع الاسلام والمسألة الاسلامية) تهجم فيه على الاسلام كذلك (أنظر : أدمس : الاسلام والتجديد فى مصر ، ص (٨ ـ ٨٢) ـ ولم يكن بلا مغزى أن يتوجه الجنرال الفرنسى غورو ـ فور دخوله دمشق على قبر صلاح الدين ويقول بعنجهيه :
(هاقد عدنا يا صلاح الدين ـ هاهم أحفاد الصليبين فأين هم أحفادك) .
(٢) محمود قاسم : الامام ابن باديس ، ص ١١ .
بو الصفصاف : المرجع السابق ، ص ٨٨ نقلا عن البصائر ١٨ فبراير ١٩٣٩ .
(٣) موسى الاحمدى : اعلام الجزائر ، الامام الرائد محمد البشير الابراهيمى فى ذاكره الاولى ، ص ٨ .

وفى هذا المجال أذكر القارىء بالكتاب الهام الذى نشره أوجين يونج * Eugne Yung بعنوان استعباد الاسلام ـ الحرب الصليبية الجديدة l'Islam sous le joug de la nou-velle Croisade هذا الكتاب الذى نشر مترجما فى مصر عام ١٩٢٨ (مطبعة النهضة شارع عبد العزيز) يذكر فيه (ص ٥) أن فى العالم الاسلامى أربع مائة مليون مسلم ونيف منتشرين فى اسيا وافريقيا وهو يشعر بأن (الحرب الصليبية الاخيرة) على حد قول الجنرال اللنبى قد اصابته فى صميمه ، وأن النصرانية والموسوية هبتا لمواقعة المحمدية وهما تأملان أنهما تتمكنان بالاتفاق مع العوامل الاخرى الانفة الذكر من صرع عدوتهما (ص ٦) .

التبشير غايته النضال ضد الاسلام **

فى كتابه (الغرب ضد العالم الاسلامى من الحملات الصليبية حتى أيامنا ـ دار التقدم ، موسكو ١٩٨٥) يؤكد بونداريفسكى : أن الغزاة الغربيين قد بذلوا قصارى الجهد لتفويض مكانة الدين الاسلامى ونفوذه .

فى الجزائر ، على الرغم من الاتفاق المبرم عام ١٩٣٥ مع الجنرال بورمون الذى تعهد الغزاه فيه باحترام الديانة الاسلامية ومؤسساتها فان الكثير من المساجد حولت إلى كاتدرائيات وكنائس خاصة فى مدينتى الجزائر وقسنطينة .

الادهى من ذلك ، أنه مع التدخل الاستعمارى بدأ التبشير المسيحى فى الجزائر ،

---

* يذكر مالك بن نبى أنه تعرف على أوجين يونغ هو وابناء جيله من المدرسين من خلال كتابه (الاسلام بين الحوت والدب) l'Islam entre la baleine et l'ours وكيف رفع كتابه هذا (حرارة التيار المعادى للاستعمار فى ابناء جيله وعلمهم وضع العالم الاسلامى فى الحقبة الاستعمارية مالك بن نبى : مذكرات شاهد للقرن ، الطفل ، ص ٩٢ ، الطالب ، ص (٣٣) .

** تأثير النشاط التبشيرى المسيحى من الامور الجديرة بالدراسة ، أكد عليها مؤلفى (المجتمع الاسلامى والغرب) هاملتون جب ، وهارولد بوون (ص : ٢ من الجزء الاول من الترجمة العربية للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١)

وكان أحد أهداف جماعة (الآباء البيض) التى أسسها لافيجيرى Lavigerie العمل على تحويل الاطفال العرب الايتام إلى المذهب الكاثوليكى . وكان لايفيجيرى من بناة الامبراطورية الفرنسية وله تاريخ معروف فى حوادث لبنان سنة ١٩٦٠ وسيلعب دورا هاما بعد ذلك فى احتلال فرنسا لتونس ، وكان يعتقد أن أهم وسيلة يمكن لفرنسا أن تهضم الجزائر ، هى النشاط فى تحويل عدد من المسلمين إلى الكاثوليكية ، ثم أنشأ بعد ذلك جماعة (الاخوات البيض) لتسهيل الاتصال بالنساء الجزائريات . ونجح الكاثوليك فى جمع عدد من هؤلاء الاطفال العرب واحتفظوا بهم فى أديرتهم وتعرف سلالتهم حتى الآن (بالعرب المسيحيين) [١] .

عرف التبشير المسيحى فترة نمو وازد هار وبدأ يعطى ثماره الاولية فى الجزائر حوالى سنة ١٩٠٥ من خلال المجهودات الكبيرة التى قام بها (شارل دوفوكو) كأكبر داعية تنشيط فى الفترة المذكورة وكان دوفوكو يعتقد : (أنه اذا لم يتم تنصير المسلمين فى مستعمراتنا بشمال افريقيا فان حركة وطنية ستقوم بها على غرار ما حدث فى تركيا) [٢] .

بل كان الحديث ــ كما يذكر مالك بن نبى [٣] ــ شائعا فى محيطه عن لافيجارى الكاردينال الفرنسى الذى عاش بين سنتى (١٨٢٥ ـ ١٨٩٢) وأسس أخويه الآباء البيض وعن الوسائل النافعة لتنصير أطفال بيسكرا والقبائل .

أورد أبن باديس عن الصدى الكنسى لقسنطينة وبونه (الاحد ٩ فبراير ١٩٣٦) فى الصلاة اليومية وأقدم اليك صلواتى بصفة أخص ، من أجل اتحاد كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الاسلام) .

---

(١) جلال يحى : السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ٢٥٠ ، عثمان سعدى : عروبه الجزائر عبر التاريخ ص ٨

(٢) عبد القادر الشاوى : السلفية والوطنية ، ص ٨٩ ـ ٩٠ (نقلا عن علال الفاسى)

(٣) مذكرات شاهد للقرن ، القسم الاول (الطفل ١٩٠٥ ـ ١٩٣٠) ص ٩٥

Je vous les offre, en particulier, pour l'union entre les catholiques et pour la lutte contre l'slam .

وهـذا دلالـة واضحـة كمـا يقـول ابن بـاديس (أن النضـال ضـد الاسلام هـو غـاية التبشير) [١] . وعلى الرغم من القـانون الـذى يجعل الاديـان مستقله من الدولة ، فـان الحكومـة الفرنسية وضعت فى ميزانيتها بابـا واسعـا لمعاونة المبشرين فى افريقية الشمالية ، وأعلن وزيرها فى البرلمان أن (السياسـة اللادينية تقف عند حدود فرنسا ولا تتخطاها إلى المستعمرات) [٢] .

وصدرت مـراسيم عدة جعلت الـوعظ والارشاد فى المساجد احتكارا للمشايخ المعينين من قبل الفرنسيين وعينت فرنسا لرياسة اللجنة الاستشارية للثقافة (وكان تعيين مسيحى فـرنسى محل استياء بـوجه خـاص اذ يجعل الاشراف المباشر على الشئون الدينية فى أيدى رجل غير مسلم وموظف تابع للادارة) [٣] .

ويذكر أحمد توفيـق المدنى ، أن أحد أكابر موظفى الولاية العامـة الجزائرية وهو مسيو برك فى مقـال نشر بعد موته مـانصه : (لقد وصل بنـا امتهان واحتقـار الدين الاسلامى إلى درجة أننـا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتى أو الامام الا من بين الـذين اجتازوا أعلى سائـر درجات التجسس ، ولايمكن لموظف دينى أن ينال أى رقى الا اذا مـا أظهر للادارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير) [٤] .

هكذا خضع الدين الاسلامى لوصاية المستعمرين ـ لان الحكومة هى التى تختار رجال الفتوى والائمـة وتحدد مـرتبـاتهم وتحرم المسلمين من حـريـة اختيـار رجـال الـدين وبـاسم

---

(١) عمار طالبى المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٧ ـ ٤٩١ (نقلا عن الشهاب ، ماير ١٩٣٦) .
(٢) عباس محمود العقاد : الاسلام فى القرن العشرين ، ص ٧١ .
(٣) جليسبى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(٤) هذه هى الجزائر ، ص ١٤٨ .

سياسة الدمج ثم العلمنه حددت المدارس القرانية بدقة ورقبت مدارس الزوايا ونقص عدد معلمى القرآن والمدرسين ومنذ ذلك الحين تقهقرت معرفة اللغة العربية الادبية ، اذ كانت لا تكاد تدرس وروقبت العبادة ، بل أن الحج إلى مكة وهو أحد اركان الدين الاسلامى الخمسة قلما سمح به (ومنع الحج السنوى بذرائع مختلفة بحيث يتباعد مابين الرحلات) [١] .

٣ ـ الطرقية . . أداة فى خدمة السياسة الاستعمارية

استمالت الادارة الفرنسية اليها فئات لمكافحة النشاط المتزايد للجمعيات الدينية واعتمدت على جماعات من المرابطين المحليين جعلتهم سندا وركيزة لتأييد الاحتلال ، ووجدنا من زعماء تلك الطرق من يبرر باسم الدين ـ حملة فرنسا لسحق الشخصية القومية للجزائريين ودمجهم فى فرنسا وتحويلهم إلى فرنسيين ، بقوله : (اننا اذا كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد اراد الله ذلك ، وهو على كل شىء قدير فاذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه أمرا يسيرا ، ولكنه كما ترون ، يمدهم بالقوة ، وهى مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ، ولنخضع لارادته) [٢] .

ويتحدث جابرييل هانوتو G.Hanataux (١٨٥٣ ـ ١٩٤٤) وزير خارجية فرنسا عن موقف بلاده ازاء الاسلام والمسألة الاسلامية عن بعض الطرق الصوفية (من يخلد اعضاؤه إلى السكون ، وربما كانت علاقتهم مع رجال حكومتنا فى الجزائر وتونس على أحسن ما يرام) [٣] .

---

(١) أجريتو (مارسيل) الوطن الجزائرى ، ص ٦٩
أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) محمد عمارة : مسلمون ثوار ، ص ٢٦٣
تيارات اليقظة الاسلامية الحديثة ، ص ٤٤ .
مجلة الطليعة (ملف أبن باديس) نوفمبر ١٩٧١ ، ص ٨٩ .

(٣) هانوتو : الاسلام والرد على منتقديه ، مقالات منشورة ضمن هذا الكتاب ، ص ١٨ .

ويذكر ـ ماسينيون ـ [1] أن ثمة طائفة من اتباع الطرق الصوفية ذات شخصية منفردة غلام الله ، وهو رئيس احدى الطوائف الدرقاوية فى مدينة تيارت ـ غرب الجزائر ـ يدعو الان إلى سياسة غربية ترمى إلى عقد اتفاق دينى Concordat بين الاسلام والحكومة الفرنسية وتقترن دعايته بضرب من الكياسة فى التجديد .

وفى تقرير التجمعات التى ظهرت فى الجزائر (أصلها ، تاريخها الوجيز ، وضعيتها الحالية) والذى قدم إلى عامل عمالة قسنطينة بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤١ (الجنرال فالين VALIN) وعند الحديث عن جمعية العلماء كأحد التجمعات الاسلامية التى لعبت دورا هاما فى الاوساط الشعبية فى الجزائر ، ذكر (وأمام هذا الخطر حذر الرؤساء المرابطون فرنسا من خطر هذه الحركة على السيادة الفرنسية فى الجزائر) [2] .

٤ ـ (النزعة البربرية ـ فرق تسد)

أن القاعدة الرومانية (Divide et impera) ، هى القاعدة الاساسية التى استطاعت بفضلها الادارة الاستعمارية الفرنسية أن تحتفظ بالجزائر اكثر من قرن وربع ضمن ممتلكاتها وراء البحار فان العداوة بين مختلف العروق والقبائل والطوائف المنغلقة والاديان ، هذه العدواة ظلت دائما مبدأ السيادة الفرنسية الحيوى ، وباعتراف رجال الادارة انفسهم ، فقد مارست الادارة الفرنسية فى الجزائر سرا فى المسألة الاهلية سياسة (فرق سد) باثارة (المسألة البربرية) [3] ومحاولة استمالة البربر إليها ، والنظر

(١) وجهة الاسلام ، ص ٦٠ .
(٢) بو الصفصاف : المرجع السابق ، ص ٣٩٢
(٣) أجيرون : المرجع السابق ص ١٠٨
وحول المسألة البربرية من وجهة نظر بعض المفكرين الفرنسيين ، أنظر رأى دوته المختص فى أمور البربر والذى كان يرى انهم (مناط الامال فى افريقيا) وموقف المستشرق ماسينيون عن (الوحدة البربرية) فى محاضرته عام ١٩٢٧ حيث رأى أن البربر يمثلون ٢٩٪ من سكان الجزائر ويفخرون أشد الفخر بأنهم ليسوا من الجنس العربى ، فى ١٦ مايو ١٩٣٥ أصدرت فرنسا مرسوما (الظهير البربرى) يقضى باحترام النظام العرفى المتعارف عليه فى القبائل البربرية حتى يتم احياء النظام القبلى الذى يفتت الوحدة الوطنية بين سكان المغرب العربى ، راجع لوثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى ، ج ١ ، ص ٨٧ .
عثمان الكعاك : البربر ، ص ١٢٩ ، ماسينيون ، وأيضا المرجع السابق ، ص ٦٣ .
حسن بوعياد : الحركة الوطنية والظهير البربرى ، ص ٢٧

اليهم كأكثر الجماعات قابلية للاندماج وبالتالى بدأت تدافع عن قوانين القبائل العرفية فى مواجهة الشريعة ، ودعت الاحتفاظ للبربر بزعمائهم (الامناء) وبنظام ضرائبهم التقليدى وتحبيذ استعمال اللهجة القبائلية ، بل كانت ثمة محاولة لاعادة ايمان البربر المسيحى .

كانت هذه السياسة البربرية موجهة لفصل البوادى عن المدن حيث الاتجاه السلفى نشيط فى مواجهته للاستيطان الفرنسى .

(الروح الانسانية) رد الفعل العربى الاسلامى على سياسة فرنسا)

الموقف العام من الغرب *

الفترة التاريخية التى تتمحور حولها الدراسة تمثل سيطرة الغرب الاستعمارى على مقدرات العالم العربى الاسلامى باعتباره السيد والقاهر ، ولا غرابة أن يطلق البعض على العقود الاربعة الاولى من القرن العشرين (عصر المستوطنين الذهبى) [1] فى الجزائر .

اكتسب الغرب شعورين مزدوجين ، شعور بالكراهية والعداء لسياساته الاستعمارية ، وشعور بالدهشة والاعجاب لامتلاكه أسرار التطور الحضارى الحديث ، وباختصار ، أصبح هناك غربان : الغرب الاول ، غرب الاستعمار فى مرحلته الامبريالية ، الغرب

---

* احيل القارىء إلى دراسات تفصيلية هامة ، أخص منها بالذكر .

Abu-Lughud: Arab Rediscovery of Europe Princeton 1963.

هذا الكتاب المستند فقط على مذكرات الغرب الذين زاروا اوروبا فى العصر الحديث ، كيف يترك الاعجاب الشديد بمنجزات المدنية الاوروبية مع الاحتفاظ بوجهة نظر نقدية لها .

Hourani, A.: Arabic Thought in the Liberal Age, Oxford, 1962.

Sharabi, M.: Arab Intellectualls and the West, Johns Hpckins Press 1970.

وكتاب (سابا يارد ، نازك الرحالون العرب وحضارة الغرب فى النهضة العربية الحديثة ، مؤسسة نوفل ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٩ .

(١) جليسبى : ثورة الجزائر ، ص ٩٠ .

المحافظ ، غرب المفاهيم الرجعية والتى تتعارض مع المفاهيم الليبرالية الاولى لعصر التنوير الاوربى ، غرب اضطهاد واجتماع الشعوب شعوب الشرق خاصة وردها إلى العصر الحجرى كما عبر عن ذلك الكواكبى ، غرب النظريات التبشيرية الاستعمارية والافكار العنصرية المنافية للروح الانسانية ، غرب المفاهيم الخاطئة مثل قدرة الشعوب الارية المسيحية على التقدم وتخلف الشعوب السامية الاسلامية .

الغرب الثانى ، غرب العلم المتقدم والتقنية عالية التطور ، والافكار والنظريات التقدمية وترسيخ المثل العليا الاوربية العامة التى بلورتها الفلسفة التحررية الفرنسية على وجه الخصوص ، حيث كانت فرنسا خلال القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر نموذجا للتحضر ، وأضحت باريس منارة للعلم لغالبية رواد النهضة والتنوير العربى منذ النصف الثانى من القرن الماضى ، اثارت انبهارهم ودهشتهم ، لكنه - على أى حال - استحال إلى ازدراء وإلى امعان حزين واحتجاج ساخط على استغلال الانسان للانسان ، وعلى امتهان القيم الروحية ، وعلى الحروب الدموية والنهب الاستعمارى وعلى قبح واستهجان نمط الحياة الغربى فى جوهره ، بل والادهى بدأت نذر التنبؤ باضمحلال الغرب وحضارته . ولعل من أهم الكتب التى نشرت حول انهيار الحضارة الغربية كتاب اشبنجلر (Spengler) الذى نشر عام ١٩١٨ وترجم إلى الانجليزية تحت عنوان The Decline of theWest وفيه تنبأ باضمحلال الحضارة الغربية فى وقت كان يبدو أنها فى عنفوانها ، لقد تم استكشاف أن تقدم الغرب حضاريا وتفوقه فى مجرى التطور التاريخى نتيجة استغلال لا يرحم للشعوب المضطهدة ، خاصة الشعوب الاسلامية ، وليس من قبيل المصادفة عند دراسة تأخر هذه الشعوب وانحطاطها فى مجال التطور الحضارى أن يبرز قادة الفكر العربى الاسلامى أن التخلف الحاضر أحد أسبابه الرئيسية هم المستعمرون الاوروبيون أنفسهم .

والتساؤل الآن : كيف انعكس الموقف من الغرب سلبا وايجابا فى كتابات أبن باديس كأحد رواد التجديد فى الفكر العربى الاسلامى الحديث خاصة فى القطر الجزائرى ؟ علينا أن نقرر فى البداية عدم ميل ابن باديس إلى وضع أمته (الجزائر) فى مواجهة غرب ثابت لا يتحول ولا يتحرك ، على الاقل فيما يختص بعلاقاته معه ، أدرك الثابت وهو أن للغرب صورته الاستعمارية فى مواجهة المقومات الاساسية للشخصية العربية الاسلامية ، وأدرك المتحول وهو أن هذه الامة (الجزائر) ضعيفة ومتأخرة وأن للغرب فضل فى تحضرها وتمدنها لا يمكن أنكاره ومن هنا اعترافه بما قدمت فرنسا للجزائر من تمدن (أن لفرنسا ماياناهز القرن فى الجزائر ولا أحد ينكر مالها من الايادى فى نشر الامن وعمارة الارض وجميع وجوه الرقى الاقتصادى) [1] .

(الموقف من السياسة الاستعمارية)

كتب ابن باديس فى سبتمبر ١٩٣٧ (أن من جنايات الاستعمار الاوربى على البشرية أنه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الامم التى ابتليت به واصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لأبشع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها ، ومن عليها بمازرعه فيها من عمران ، وأن كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به) [2] .

هذه العبارة تبين أن باديس كان يقظا إلى خطر احتواء الغرب للشرق ، إلى خطر احتواء الغرب للشرق ، إلى خطر التبعية الحضارية وبين الممارسات القهرية التى تؤكد تفوق قيم الغرب وتفرض نمط حياته وأفكاره بفضل عدوانيته على الشعوب المقهورة ، بل أن التوسع الاوروبى تطابق فى وعى ابن باديس مع قصة الصراع بين الغرب المسيحى والشرق المسلم (الروح الصليبية) خاصة وأن الصحافة الاوروبية الاستعمارية باركت هذا

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٧١ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٣٣ .

الاتجاه بنزوعها إلى الاثبات بأن العالم الاسلامى معاد للعالم المسيحى على طول الخط ، وأن أكد أن التوسع الاوربى له جذوره الاجتماعية الاخرى * . كتب ابن باديس تحت عنوان (التسامع الاسلامى صلاة وصلاة) [1] ان الكنيسة تغذى مؤمنيها بالحقد الدينى وتقويه وتدعو إليه صراحة ضد قوم مسالمين ومستضعفين ويضيف قائلا (حاشا الاصول الاولى لتلك الملة أن تأمر بهذا فقد عرفوا ما جاء فى « متى » (٥ : ٤٤) « وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » ولكن الرؤساء الذين يريدون المحافظة على مصالحهم ويرون أن محبة اتباعهم لهم تكون بقدر بغضهم للاسلام ، هم الذين يتحملون مسؤولية هذا ويبوءون باثمة) ، بل أن ابن باديس فى عدائه للاستعمار كان التمييز مطلوبا بين المخالفين فى الدين وبين المستعمرين ، فنفى عن حركته تهمة التعصب الدينى وحدد فى سبتمبر عام ١٩٣٧ (أن هذه النهضة لايخشاها النصرانى لنصرانيته ولا اليهودى ليهوديته ولا المجوسى لمجوسيته ، ولكن يجب ، والله ، أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته) .

وأظهر فى العديد من مقالاته مظاهر التسامح الاسلامى عند المسلمين وخلو قلوبهم من الحقد الدينى (لاجل أن يقتلع الاسلام جذور الحقد الدينى والتعصب على المخالف من

* أنظر فى هذا المجال كتاب عبد القادر الشاوى (السلفية والوطنية) اذ قرر فيه (ص ٩٠ ـ ٩١) أن الحركة السلفية تواجه المسيحية فى الاستعمار وبالعكس مواجهة ارتبطت فى ذهنيتها الطبقية بالحملات الصليبية التى جرت على العالم الاسلامى ، ويلات كثيرة ففوضت بعضا من تراثه وهدمت جزءا من حضارته بل وحاولت أن تلحق بكيانه الواسع ككل ضربه قاصمة ، هذا ما دعت الحركة السلفية وكان وعيها شديد الحساسية تجاه ما يمس عقيدتها ، الا أن وعيها لم يكن دينيا صرفا .
وفى هذا المجال كان أبن باديس سوط نقمة على كل من يهاجم الاسلام ، فقد رد على كل من وجه نقدا مغرضا أو أبدى رأيا ظالما وفى مقدمة هؤلاء (م. أشيل) الذي تهجم على الاسلام ومقدساته و (موارن) الذى ازدرى بالفقه الاسلامى وأعلامه (راجع : أنور الجندى : تراجم الاعلام المعاصرين فى العالم العربى ص ٢٠٣) وأنظر كذلك أبن باديس (سياسة وخز الدبابيس) ردا على جريدة (الطان) التى نشرها فى مارس ١٩٣٦ (راجع : عمار طالبى : المرجع السابق ج٣ ، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٥) لادراك موقفه من الصحافة الفرنسية وموقفها تجاه قضية بلاده .

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٤٩٣

قلوب اتباعه ويزرع فيها التسامح ، عرفهم أن اختلاف الامم وتباينهم فى نحلهم هو بمشيئة الله) [1] ويذكر (فى العالم الاسلامى كثير من المجلات التى يصدرها رجال أهل العلم الدينى وفى مقدمتها « مجلة الازهر » ، لاتجدها تعرض للبحث فى النصرانية الا اذا اضطرت للدفاع عن المطاعن التى يوجهها من حين إلى اخر أعداء الاسلام . اما الهيئات الدينية النصرانية فأن لكل هيئة منها مجلتها ويكاد لا يخلو عدد منها من الكلام عن الاسلام وتصويره بالصورة المنفرة البغيضة المثيرة للاحقاد) [2] .

وفى ظل خصوصية الجزائر بالنظر إلى النهوض العام للحركات التحررية فى المشرق العربى لم تضع غالبية الحركات القومية التحررية (جمعية العلماء من بينها) نصب اعينها فى بداية ظهورها وتكوينها مهمة النضال من أجل الاستقلال القومى ، ولم تطالب سوى بالمساواة فى الحقوق بين العرب الجزائريين والمعمرين (الكولون) والقضاء على قانون السكان الاصليين أو على الاكثر الدعوة إلى الحكم الذاتى للجزائر فى الاطار الفرنسى . فى العشرينيات دعا أبن باديس إلى الارتباط بفرنسا والسعى لنيل جميع حقوقها مع المحافظة على كيانه العربى الاسلامى ودعا إلى التمسك بفرنسا (العدالة الاخوة ، المساواة) وفى الثلاثينات لم يعلن فك الارتباط ، ونفى ابن باديس أن فصل الجزائر عن فرنسا لم يفكر فيه أحد من الجمعية ولا وجود له ـ قطعا ـ فى جريدة الجمعية ، بل وأعلن أن أرتباط الجزائر بفرنسا اليوم صار من الامور الضرورية عند جميع الطبقات فلا يفكر الناس اليوم إلا فى الدائرة الفرنسية ولا يعلقون امالهم الا على فرنسا وأوضح أن فرنسا لابد ان تعطى يوما للجزائر جميع مالها من حقوق مع محافظتها على جميع مقوماتها الحضارية وكتب مقاله الشهير (الجنسية القومية والجنسية السياسية) [3] ذكر فيه أنه (من الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين

(١) ، (٢) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٤٨٧ ، ٤٩١
(٢) نفس المرجع ، ج٤ ، ص ٣٢١ .
(٣) نفس المرجع ، ج٣ ، ص ٣٥٤

فى الجنسية القومية اذا تناصفا وتخالصا فيما أرتباط به من الجنسية السياسية التى قضت بها الظروف واقتضها المصلحة المشتركة ، فاذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية ، فلابد لهما ـ مهما طال الامد ـ من أحد الامرين : اما أن يندمج اضعفها فى أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزات فينعدم من الوجود وأما أن يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره ـ ولابد ـ إلى الانفصال .

واستنادا إلى مثل هذه الافكار أكد احد الباحثين [1] أن جماعة العلماء عبرت عن الولاء تجاه فرنسا وتخيلت الوطن الجزائرى ـ مرحليا ـ داخل حدود فرنسا السياسية ، لكن لم يفقد أبن باديس الايمان بالمستقبل وبالتقدم فى التطور التاريخى للجزائر ، فى خطاب له إلى محرر جريدة (الريبوبلكان) بقسنطينه كتب يقول (انكم لا تدركون تطورات الامم وتقلبات الايام وتفكرون فينا ـ فى القرن العشرين ـ بأفكار القرون الوسطى) .

أن الزمان ـ يا زميلى ـ يسير ولا يقف وسنن الكون نافذة لا تتخلف والويل لمن قعد او تعامى [2] . وقبل ذلك كتب يقول (أن الاستقلال حق طبيعى لكل أمة من امم الدنيا ، وكما تقلبت الجزائر على التاريخ فمن الممكن انها تزداد تقلبا مع التاريخ ، وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتى يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقى المادى والادبى وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر) [3] .

---

(1) Merad: op. cit., P. 392.

(٢) عمار طالبى :المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٤

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١

بالاضافة إلى مجهودات الجمعية داخل القطر الجزائرى ، فقد ذهبت وفود منها إلى فرنسا لعرض قضية الجزائر على رجال الدولة حيث طالبوا بالحرية والاستقلال ولكن عن طريق فرنسا واستقبل العلماء مجىء الجبهة الشعبية إلى السلطة فى فرنسا بالارتياح (١٩٣٦) وأبن باديس فى هذه الحكومة (احترام احزابها للامم المرتبطة بفرنسا ـ اتساع حرية فى الفكر والانسانية ـ التفكير فى شأن مستقبل الجزائر والحديث عنها) (عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٢٣) ولذلك وضع ثقته فيها بعد أن أدرك أن روح السياسة الفرنسية لابد أن تتعدل وتتبدل وأن التحرر السياسى يمكن الحصول عليه المساواة الحقوقية فى الاطار الفرنسى وبهذه الروح عقد المؤتمر الاسلامى الاول (٧ يوليو ١٩٣٦) ولكن مالبث الطغيان الاستعمارى والجبروت المالى الاستغلالى أن أخذ ينقلب وأخذت حكومة الجبهة الشعبية تبعا لذلك تتقلب فى سياساتها ازاء الجزائر راجع (أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية ، ج٣ ، ص ١٠٦ .
وكذلك (١ جيرون المرجع السابق ، ص ١٤٣)

فى أواخر الثلاثينيات وبعد فشل مشروع فيوليت * ومراوغة حكومة الجبهة الشعبية ، دعا أبن باديس الشعب الجزائرى الى الاعتماد على الله وعلى النفس للقيام بتضحيات من اجل حقوقه وكتب مقاله (هل آن أوان اليأس من فرنسا) [١] .

وعشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٨) سعت فرنسا إلى اظهار تضامن الجزائريين معها ، فقام المخلصون لها من رجال الزوايا والقواد والا غوات بارسال برقيات التضامن معها ضد اعدائها فى العالم ، وقد اجتمعت جمعية العلماء بدورها فى (٢٣ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٨) وأعلن أبن باديس بعد أخذ الاصوات (١٢ إلى ٤ ضد ارسال البرقية) أنه لن يرسل البرقية وقرر الاحتفاظ بالصمت ولو قطعوا رأسه ، وبدأت صيحاته الرومانسية للحرية والاستقلال ودعا إلى المقاومة لمن يقاوم الحرية (سواء من أهل البرانيس أو من أهل البرانيط) .

عند اندلاع الحرب دعت جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائرى ـ كما يؤكد احد الباحثين [٢] إلى الاستقلال . وكان أبن باديس قد أرسل إلى رئيس الوزراء الفرنسى يؤكد له (ليس هناك سلطة ولا قوة سوى سلطة وقوة الله ، قضيتنا عادلة ، سنواصل الدفاع عنها ضد كل من يقف فى طريقها [٣] .

* موريس فيوليت Violette الوالى العام الاسبق فى الجزائر ، أصدر فى عام ١٩٣١ كتابا بعنوان (هل تدوم الجزائر ؟) أكد فيه متنبأ انه اذا بقيت الجزائر اقطاعية خاصة بالمستوطنين خارج فرنسا ستخسرها فى غضون عشرين عاما وتقدم بقانون يمنح حقوق المواطنة للنخبة كى يشاركوا فى انتخابات القسم الفرنسى بالمجالس النيابية ، أما بقية المسلمين فتستقل بقسمها التالى على أن يكون المسلمون ممثلين بالمجالس النيابية الفرنسية ، وقد قبلت جماعة العلماء (بروجى فيوليط) (لما فيه من التصريح بالمحافظة على الحالة الشخصية مع أن ما فيه انما هو نذر قليل جدا من الحقوق المطلوبة) لكن لم يوافق البرلمان الفرنسى على هذا الاقتراح بسبب معارضة الكولون المعمرين وأدى فشله إلى خيبة أمل للجزائريين .

راجع : (اجيرون : المرجع السابق ، ص ١٢ ، جليبسبى : المرجع السابق ، ص ٣٨ ، وأحمد توفيق المدنى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، وعمار طالبى المرجع السابق ، ج ٣ ص ٢٥٦ ، ج ٤ ، ص ٣٣٣) .

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥

(2) Julien: OP. Cit., P. 137.

(٣) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، ص ١٨٣

ادرك ابن باديس ذلك التنافس بين التوسع فى الافكار الليبرالية داخل فرنسا واتساع نطاق استبداد الفرنسيين وممارساتهم الدموية ، وأن السياسة التى تسير عليها الحكومة الفرنسية لم تكن عادة مما يتجاوب تجاوبا ناجزا وما كان يحدث فى فرنسا ذاتها من تطور اجتماعى فهذه السياسة تعارضت فى كثير من الاحيان ومبادىء السياسة الفرنسية العامة ، بل ومبادىء الثورة الفرنسية التى لم تمتد إلى الشعوب التى استعبدتها فرنسا ، بل قاومت فرنسا حقا جهود أولئك الذين أرادوا تحرير انفسهم ، أحسن أبن باديس بهذا التعارض بين شعارات الحرية والاخاء والمساواه وبين واقع فرنسا الرأسمالى عندما تجلى جوهر الامبريالية البربرى بشكل واضح وضوحا خاصا فى الجزائر ، كان أبن باديس يعتبر الاستعمار والروح الاستعمارية جريمة فى حق الانسانية * .

ليس من الغرابة ، أن نرى أبن باديس وقد استلهم ما هو جوهرى ومفيد فى تراث الحضارات الاخرى ومنها الحضارة الغربية الحديثة التى بنيت على اسس تنويرية انسانية ، حيث أضحت مبادىء الثورة الفرنسية ــ على سبيل المثال ــ بما تحمله من مضامين اخلاقية ، لا تتعارض مع التصور الاسلامى العام هذه المبادىء هى التى كرس لها عبد الحميد بن باديس ، وفى ظل ظروف عصره ، وقتا للاشادة بها والدفاع عنها ودعا فرنسا إلى الالتزام بها خاصة وان هذه المبادىء التى روجتها فرنسا لايشهد بها

---

* حاولت الحكومة الفرنسية فى الجزائر اغراء أبن باديس بتوليته رياسة الامور الدينية فامتنع ، فاضطهد وأوذى ، وقاطعه اخوة له كانوا من الموظفين وقاومه أبوه (خير الدين الزركلى : الاعلام ، الجزء الرابع مادة عبد الحميد بن باديس) وأطلق صيحته (العلم للعلم لا للوظيف ولا للرغيف) ، وبينما استقل النصارى واليهود بأمر دينهم تدخلت الادارة الفرنسية فى أمور جماعة المسلمين ، ومن هنا طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتنفيذ القوانين الفرنسية ، مثل قانون ١٩٠٥ الذى يقتضى فصل الدين عن الدولة وقيام كل طائفة دينية بأمور دينها باستقلال (أحمد توفيق المدنى : هذه هى الجزائر) ص ١٤٧ ـ ١٤٩) وعندما منعتهم السلطات الفرنسية من العمل بالسياسة بل والقاء دروس الوعظ فى المساجد الرسمية وأغلقت مدارسهم وسجنت بعض زعماء حركتهم صاح ابن باديس (ماهذا العيب الذى يعاب به العلماء المسلمون اذا شاركوا فى السياسة : فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الاخرى ؟ وهل كانت الاكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رشليو ؟ أفيجوز الشىء اذا كان من هناك ويحرم وقبح اذا كان من هنا ؟) راجع عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

تمتعها بذلك ، بل الشاهد الاصدق عليها هو احترام هذه الامة لحريات غيرها من الشعوب .

فى عام ١٩٢٥ وفى العدد الاول من (المنقد) الصادر فى ٢ يوليو ١٩٢٥ كتب أبن باديس يقول (نحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية ، الحرية المساواة والاخوة) فكيف نرى مسار تحرك هذه المبادىء عبر ما طرحه ابن باديس من أفكار ؟ وما الذى دفعه ، وهو المفكر العربى المسلم إلى طرح هذه المبادىء ذات النزعة الانسانية والاهتمام بها ، أليس فيها تعارض بين ما يحمله من رؤية اسلامية أم أن الامر ليس كذلك ، هل كانت هذه المبادىء ضرورة تاريخية أم مصادفة للتحدث عنها ؟ .

بعد توقف (المنقد) أصدر ابن باديس مجلة (الشهاب) كتب على غلافها هذه الشعارات (الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) وكتب على اركان المجلة الاربعة أربع كلمات (الحرية ، العدالة ، الاخوة ، السلام) ، وقد أجاب أبن باديس عما يعنيه بهذه المبادىء بالنسبة للجزائر بقوله فى (الشهاب - يوليو ١٩٣٦) (نعنى بذلك أن الامة الجزائرية قد قامت بكل ما طلبته منها من نفس ونفيس ، فمن الواجب على فرنسا ومن العدل الذى لا يقوم الا به ومن مقتضى المؤاخاه الحقيقية التى لا تكون الا عند ما يشعر الانسان بانه غير مغموط الحق ولا مهضوم الجانب من صاحبه - أن تعطى فرنسا للجزائريين جميع حقوقهم دون أى تنقيص لهم عن غيرهم ، ولا أدنى تمييز له عنهم وليس لها أن تطالبهم بالانخلاع عن أى شىء من مميزاتهم فى قوميتهم ودينهم ولغتهم) .

أبن باديس كان يدرك أن هذه المبادىء ، هى صوت العقل فى لحظة محددة من تطور المجتمع ، ما أحوج واقعه الذى يرزح تحت عبء السحق الحضارى إلى مضامين هذه المبادىء والتى لا تتعارض مع اتجاهات حركته التنويريه الاسلامية ، خاصة وأن الجزائر (أمة ضعيفة ومتأخرة) ومن الضرورة أن تكون فى كنف أمة قوية عادلة متمدنه لترقيتها

فـى سلم المدنية والعمـران وأن (سـعادة الأمـة الجزائريـة بمساعدة فرنسا الديمقراطية) [1] ، بل كتب يقول (الجزائر المفطورة على مبادىء الاسلام والمتغذية بمبادىء فرنسا أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون ، رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر ابنائها الاحرار) [2] .

ولسنوات عديدة ، أخذ أبن باديس ، يذكر ساسة فرنسا بهذه المبادىء ، حتى تعدل فرنسا من مواقفها داخل الجزائر ، بل وخارجها ، فقد أرسلت ادارة جمعية العلماء برقية احتجاج دينى انسانى إلى وزارة الخارجية الفرنسية على حوادث فلسطين الدامية وظل ابن باديس يذكر اتباعه بتضحياتهم وثقتهم بالله وبأنفسهم و (بالمبادىء الجمهورية الفرنسية التى كتبت بدماء أبنائها) [3] .

غير أن أبن باديس أخذ ينتقد الادارة الفرنسية لعدم تمثلها للمبادىء التى رفعتها منذ قيام الثورة الفرنسية ، لكن لم تكن مهمته نقد للمنابع الفكرية لهذه المبادىء وانما نقدا لتطبيق هذه المبادىء فى عصر التسلط الاستعمارى ، فما كان بالامس القريب عند درجة معينة من تطور المجتمع وتطور المعرفة الانسانية هو عين العقل والاستنارة ، لم يعد الآن كذلك ، أصبح الآن خيبة للامل الانسانى ، خيبة الامل هذه فى اقناع فرنسا بالتمسك بالمبادىء التى رفعتها هى التى جعلت أبن باديس يقرر سياسة الاعتماد على الله وعلى النفس .

وكما يقول محمد الميلى [4] أن شعارات (الحق والعدل والمؤاخاة) التى رفعها أبن باديس فى أعوام ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ كانت تعبيرا عن اهتمامات مرحلة معينة من مراحل الكفاح السياسى ، عبارة عن محاولة تكتيكية تدخل فى اطار هدف استراتيجى أعم هو الاحتفاظ بالشخصية الوطنية ، ومقاومة محاولات التذويب والمسخ .

---

(١) ـ (٣) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١ ، ص ٢٨٤ ، ص ٥٢٤ .

(٤) أبن باديس وعروبة الجزائر ، ص ٢٢ ، ص ٢٦ .

فى عام ١٩٣٥ حذف أبن باديس الكلمات الاربعة المكتوبة على أركان (الشهاب) الخارجية وهى الحرية والعدالة والاخوة والسلام ، ولكنه أبقى الشعارات المكتوبة فى نصف الغلاف كما هى بدون أى تغيير ، وفى عام ١٩٣٧ غير شعار المجلة المكتوب فى أسفل غلافها الخارجى (الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع حقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) واستبدله بالشعار التالى (لنعول على انفسنا ولنتكل على الله) .

وكان انتقاد أبن باديس لجوهر الحضارة الغربية كما سنبين فيما بعد ـ هو النافذة التى أطل منها بنظرته الى صدر (الآخر) والذى تجسد فى مبادىء الثورة الفرنسية وبهذه الصورة كان حقا نافذ النظر ، فلم يتحدث حديثا ملؤه الاعجاب والافتنان بهذه المبادىء بل كان يدرك أن من رفعها قد دنس تراب وطنه منذ ما يزيد عن قرن من الزمان ، ما أريد أن اخلص اليه فى اهتمام أبن باديس بهذه المبادىء :

أولا : وجد فيها أعلى نتاج وصل إليه الفكر الاوروبى الحديث : وفرنسا التى حملت لواء هذه المبادىء المستعمرة لوطنه ، لابد أن يعيد إليها رشدها لتدرك قيمة هذه المبادىء التى تخلت عنها ان يحرك انسانية (الفرنسيين) ويحررهم من أسر الانانية واستعباد الغير واضطهاد الشعوب بترسيخ المثل العليا والقيم الروحية والمبادىء الاصلية بل والمعانى الجميلة التى يكرسها الوعى الانسانى برفع الظلم عن المظلومين عن طريق تنبيه الوجدان وايقاظ الضمير * .

ثانيا : لم يجد أبن باديس تعارض بين مبادىء الثورة الفرنسية وبين المبادىء الانسانية العامة للاسلام فهذه المبادىء الغربية جاءت على وفاق مع ما جاء فى الكتاب والسنة بالرغم من أن مبادىء الدستور الفرنسى لم تكن مستلهمة اساسا من

* فى عيد الجمهورية الفرنسية (١٤ يوليو ١٩٣٩) كتب أبن باديس فى الشهاب :
(أيتها الحرية التى يتغنى بمفاتنها الشعراء وتسفك فى سبيلك الدماء ، أين أنت فى هذا الوجود ؟ كم من أمم تحتفل بعيدك وقد وضعت نير العبودية على أمم وأمم ، وكم قوم نصبوا لك التماثيل فى الارض ، وقد هدموك فى القلوب والعقول ، فتشت عنك فى الشعوب القوية فوجدت العتاة الطغاة قد قيدتهم الاطماع فى تراث الضعفاء فتشت عنك فى العشوب الضعيفة فوجدت الانصار المرهقين كبلهم استبداد الاقوياء) .

الشريعة الاسلامية * ، نظر أبن باديس إلى تراث الاسلام فوجد فى الشورى تراث نظرى وعملى ، ونظر باستنارة إلى الحضارة الغربية فوجد فى بعض تراثها النظرى (المبادىء الفرنسية) واحلال سلطة الشعب محل الاستبداد بالسلطة من خلال المجالس النيابية المنتخبة هو التصدى للاستبداد السياسى الفرنسى ، وارتبطت دعوته إلى الحرية بذلك ، وقد بين أن المساواة فى الحقوق تلازم المساواة فى الواجبات ، وهى مقولة مستوحاه من روسو (أن العقد الاجتماعى يسرى بين المواطنين بشكل يجعلهم خاضعين جميعا لنفس الظروف والواجبات وبالتالى يتمتعون بنفس الحقوق) [1] وان كان أبن باديس قد بذل قصارى جهده فى كتاباته ليبين أن الحرية والمساواة ليستا غريبتين عن العرب والاسلام وقرن هذه المبادىء بالافكار التى نصت عليها الشريعة الاسلامية ، وهذا ما توصل إليه جمع غفير من رواد التجديد والتنوير العربى الاسلامى مثل رفاعة الطهطاوى الذى قرر فى (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) (وما يسمونه الحرية ـ فى فرنسا ـ ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف ، وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين) .

أبن باديس كان يعى الاسلام من خلال مقتضيات عصره ، والاسلام الصالح لكل زمان ومكان والذى بدأ وثبة تقدمية جبارة (والوثبات التقدمية الجبارة فى كل العصور لايخلو بعضها من مضمون بعض ، وكثيرا ما تتقارب تعابيرها اللغوية عن أهدافها العامة ، تبعا لتقارب الاشواق الانسانية واتجاهها فى الحياه الاجتماعية نحو الخير والتجديد والعدل والرفق والحرية وسائر المثل والقيم العليا ، ولاشك أن مثل هذا التراث العظيم الذى وجد

---

* مفهوم الاخاء فى الفكر الاسلامى يتطابق بصفة خاصة مع المفهوم التقليدى عن (الاخوة فى العقيدة) ، وطبيعى أنه كان من الصعب ازاحة فكرة الاخوة فى العقيدة المألوفة فى وعى المسلم حتى تحل محلها فكرة الاخوة المدنية ، لكن اذا كان للاسلام تأثير على تمدن العالم خاصة الاوربى فى العصور الوسطى فان هناك بعض الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى أوروبا المتمدنه قد جعلوها اساسا لقوانين احكام بلادهم قل أن تخرج عن تلك الاصول التى بنيت عليها فروع الفقه الاسلامى .

(1) Rousseau: Du Contrat Social. P. 255.

مفكرونا المصلحون انفسهم متكئين عليه ، خلق فيهم استعدادا نفسيا كبيرا لتقبل مبادىء الثورة الفرنسية) [1] .

وحتى يدرك الشعب الجزائرى قيمة هذه المبادىء بعيدا عن التجريد النظرى ، فلابد أن تقدم لهم فى الشكل التقليدى الذى يفهمونه معتمدين على تراثهم التاريخى ، وهذا ما أجتهد أبن باديس فى ابرازه ـ كما أسلفنا الذكر ـ حيث عبر عن هذه المبادىء فى صيغ سلفيه فى أحاديثه ومقالاته ، بل فى تفسيره للقرآن الكريم ، واستعرض امثلة من التاريخ العربى الاسلامى وذكر أعلام المسلمين وساق المقارنات فى مصطلحات اسلامية * .

ولنا أن نتصور أخيرا أن التمسك بهذه الشعارات فى عصر التسلط الاستعمارى ، عصر السحق القومى والحضارى للشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، كان بمثابة اعادة اكتشاف لهذه المبادىء فى عين المستمع العربى ، وربما كان اكثر ابداعا انتقادات أبن باديس لهذه المبادىء فى الممارسة ، كان هذا اكتشافا ابداعيا للمستمع الجزائرى والذى لم يكن يطرأ على خياله الممعن فى التحليق أن يحق له المشاركة فى ادارة شئون وطنه

---

(١) رئيف خورى : الفكر العربى الحديث ، ص ١١٥ .

* لاحظ دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها (عمار طالبى ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢) حيث نصت على (الاسلام الذى يذكر بالاخوة الانسانية بين البشر أجمعين ويسوى فى الكرامة والحقوق الانسانية بين جميع الاجناس والالوان ويفرض العدل فرضا تاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز ويدعو إلى الاحسان العام ويحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أى أحد على أى أحد من الناس ، يمجد العقل ، وينشر دعوته بالحجة والاقناع ولا بالختل والاكراه ، يترك لاهل كل دين دينهم يشرك الفقراء مع الاغنياء فى الاموال ، يدعو إلى رحمة الضعيف ويحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه ويجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لا عدل الناس) وعندما تحدث أبن باديس عن (أصول الولاية فى الاسلام) عن الحقوق والواجبات ، رأى فى خطبة الصديق (مما لم تحققه بعض الامم الامن عهد قريب على اضطراب منها فيه) وأخذ يتساءل : (اين منه الامم المتمدنه اليوم ؟ هل كانت هذه الاصول معروفة عن الامم فضلا عن العمل بها ؟ كلا بل كانت الامم غارقة فى ظلمات من الجهل والانحطاط ترسف فى قيود الذل والاستعباد تحت نير الملك ونير الكهنوت) .
راجع (عمار طالبى : نفس المرجع ، ص (٤٠ ـ ٤٠٥)

على هذا من الممكن أن نتفهم مدى الاثر الذى يمكن أن تحدثه ذكر هذه المبادىء فى نفوس الجزائريين * .

(ابراز المفهوم القومى الوطنى) *

أحاط أبن باديس كل ما هو ذو خصوصية حضارية قومية باهتمام بالغ : التاريخ ، اللغة ، الدين العادات والتقاليد ، والثقافة والتراث الوطنى ، وفى مرحلة البحث عن جذور الخصوصية الحضارية وجه الاهتمام الاكبر إلى التاريخ القديم ما قبل الاسلام وما بعده ، وفى ظل ظروف الغزو الاستعمارى الفرنسى عكس المفهوم القومى تضخيم الخصائص القومية والتصور المبالغ فيه حول جوهر الامة الجزائرية والتأكيد على أولوية كل ما هو قومى فوق أى اعتبار ، يقول أبن باديس (اننا نعتصم بالحق ، ونعتصم بالتواضع عندما نقول اننا شعب خالد ، ككثير من الشعوب ، ولكننا ننصف التاريخ إذا قلنا اننا

---

* الذى لاشك فيه أن تحقيق المثل العليا الاوروبية ومبادىء الثورة الفرنسية لايزالان بالنسبة لابن باديس هدفا مثاليا ، ويرى أحد الدارسين ليفين : الفكر الاجتماعى والسياسى الحديث ، ص (٢٤) أن الموقف النقدى من التفسير المعاصر للمثل العليا للثورة الفرنسية الكبرى حدثا جديدا فى الفكر التنويرى ، وكان ذلك رد فعل طبيعى من جانب العرب على احتلال العالم الرأسمالى المعاصر لهم .

* نشر كاتب هذه السطور دراسة فى حلقات حول (القومية والوطنية عند الامام المصلح عبد الحميد بن باديس) فى جريدة (النصر) الجزائرية وذلك بداية من يوم ١٦ ابريل ١٩٨٥ ، ابرزت على بعض جوانب الانتماء القومى الوطنى فى كتاباته ، عندما نشر عباس فرحات مقاله (فرنسا هى لها) والذى نفى فيه وجود الوطن الجزائرى مما أحدث صدمة كبيرة فى الجزائر وخارجها . كما يؤكد على ذلك مالك بن نبى (مذكرات شاهد للقرن ، القسم الثانى ، ص ٣٦٠) نسب بعض المؤرخين إلى ابن باديس هذه العبارة تحت عنوان (كلمة صريحة) فى الشهاب فى ابريل ١٩١٦ (اننا نحن فتشنا فى صحف التاريخ وفتشنا فى الحالة الحاضرة فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت ككل امم الدنيا ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وعوائدها واخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل امة فى الدنيا ، ثم ان هذه الامة الجزائرية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن فرنسا ولا تريد أن تعير فرنسا ولا تستطيع أن تصير ولو ارادات ، بل هى امة بعيدة عن فرنسا كل البعد) (عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩) فى عام ١٩٧٧ نسب أحمد توفيق المدنى فى كتابه (حياة كفاح ـ مذكرات ، القسم الثانى ، ص ٦١) هذا المقال لنفسه .

سبقناها بهدايتنا وسبقنا هذه الامم فى نشر الحق أيام كانت فى ظلمات الجهل ، ذلك ما كنا فيه وما سنعود إليه وانما علينا أن نعرف تاريخنا ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة فى هذا الوجود) .

اضطلع أبن باديس بمهمة الدعوة إلى التحرر من كل اشكال الظلم السياسى والقهر القومى واعتمد على اثارة الشعور بالانتماء إلى الوطن ، وكانت الادارة الفرنسية قد فرضت على ابناء المدارس المسلمين الجزائريين أن ينشدوا (كان أجدادنا من الغالبين وكانت بلادنا فى القديم تسمى غاليا) رغبة منها فى (ذوبان الامة وانحلالها لافنائها وابتلاعها وتنقصها من اطرافها) كما اكد على ذلك أبن باديس فى (البصائر) فى ٢٠ اغسطس ١٩٣٧ ، وكان رد فعله قوله :

(اننا عرب مائة فى المائة ومسلمون مائه فى المائة لا نتنازل عن شىء من ذلك ، ونحن مع فرنسا كأخ مع أخيه لاكسيد مع عبده) [١] .

هذا الشعور الوطنى المتدفق يغدو لدى أبن باديس فيضا شعريا ـ كما يؤكد على ذلك مالك بن نبى [٢] ـ عندما ينظم قصائده التى قدر لها أن تعيد إلى الشعب الجزائرى ابعاده الحقيقية فى التاريخ الاسلامى فى فترة كان أطفال الجزائر يدرسون ويعلمون تاريخ « أجدادنا الغاليين » فى مواجهة تحديات الواقع أكد أبن باديس ضرورة الارتباط بالوطن

---

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٥٧ .

(٢) مقدمة لكتاب عمار طالبى : أبن باديس ، حياته وأثاره ، ج ١ ، ص ١٠ .
فى الشهاب فى ١١ يونيو ١٩٣٧ (عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٧١) ، ومن أبياتها :

شعب الجزائر مسلم	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب
أم رام ما جا له	رام المحال من الطلب

ويذكر مالك بن نبى (مذكرات شاهد للقرن ، الجزء الثانى ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨) هذه الحادثة التى لا دلالتها فى هذا المجال ، أنه أثناء أحداث قسنطينة (الصراع بين اليهود والمسلمين) فى الثلاثينيات قال أحد المشايخ على سبيل التذكير بالحكمة الشعبية .

- اخوانى : انكم تعلمون ، أن رؤوس الايتام معرضة للضربات القاضية (أى يريد بالايتام المسلمين العزل ، يطلب بذلك المسالمة وان اقتضى الامر التسليم) فثارت ثائرة أبن باديس وقال ـ من يقول اننا أيتام ـ لسنا ايتاما فى أرض أجدادنا .

وتراثه ومقوماته ، الوطن الخاص (الام) تحت عنوان (لمن أعيش) [1] كان رده (أعيش للاسلام والجزائر) ذلك الوطن الخاص الذى (تربطنى بأهله روابط من الماضى والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض على تلك الروابط لاجله ـ كجزء منه ـ فروضا خاصة ، وأنا أشعر بأن كل مقوماتى الشخصية مستمدة منه مباشرة واحسب أن كل أبن وطن يعمل لوطنه لابد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص فى مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال) وأكد على انتماء هذا الوطن الجزائرى إلى الوطن العربى الكبير (هذه الامة العربية تربط بينها زيادة على رابطة اللغة رابطة الجنس ورابطه التاريخ ورابطة الالم ورابطة الامل ، فالوحدة القومية والادبية متحققة بينها ولا محالة) [2] .

وموقف أبن باديس من دعاة الاندماج مع فرنسا * له دلالته فى هذا المجال ، فهو يؤكد على النهى عن التعصب الجنسى لبنى جلدته الذين مرقوا من جنسه ورفضوا الشريعة ، باعلان احترامه لجميع الاجناس البشرية وتقدير الحق والعدل فى جميع القوانين الامية ، هذا التعصب الممقوت (أكبر علامة من علامات الهمجية والانحطاط ، كن

---

(١) ـ (٢) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ .

انعكس الموقف القومى العربى بصفة خاصة فى كتابات أبن باديس احتجاجا على السياسة البريطانية الصهيونية فى (فلسطين الشهيدة) ودعم انتفاضات الشعب الفلسطينى (١٩٣٦) ، (١٩٣٩) وتنمية إلى ارتباط الصهيونية بالاستعمار (أنظر عمار طالبى ، المرجع السابق ص ٤١٤) .

* وقف أبن باديس ضد العناصر الجزائرية التى دعت إلى الاندماج والارتباط بفرنسا عن طريق التجنيس مع الاحتفاظ بالعقيدة الاسلامية (جماعة النخبة) ، وهذه العناصر رأت فى ذلك مرحلة أولى من مراحل تحرير الجزائر حسب تصورهم السياسى فطالبوا بالمساواة فى الحقوق مع الفرنسيين بدون أن يطلب منهم التخلى عن أحوالهم الشخصية كمسلمين ، كما كان ينص القانون الفرنسى ، ويرفض جماعة النخبة تعديل موقفهم ازاء هذه القضية الحيوية كانوا فى الواقع ـ كما يؤكد أحد المؤرخين (أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائية ، ج ٢ ، ص ٤٣٨) ـ وطنيين أقوياء لان الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كان يعنى ، قبل كل شىء المحافظة على الكيان الجزائرى وتسليح انفسهم ضد قانون الاهالى ، وقد أكد ماسينيون على هذه الحقيقة بقوله (لا يكاد عدد المتجنسين ضد قانون الاهالى ، وقد اكد ماسينيون على هذه الحقيقة بقوله (لايكاد عدد المتجنسين بالجنسية الفرنسية يتجاوز اليوم خمسة الاف مسلم فى الجزائر لان الحكومة لم تساعد قط على هذه الخطة ولان المستعمرين أيضا لا يرمقونها بعين الرعاية) (راجع كتابه : وجهة الاسلام ، ص ٦٢) والذى يؤكد فيه كذلك (من أكبر العوائق فى الجزائر الزام المتفرنس أن يتنازل عن قانون الاحوال الشخصية الذى تقضى به الشريعة الاسلامية والذى يشمل بالطبع حق تعدد الزوجات) .

أخا انسانيا لكل جنس من اجناس البشر وخصوصا ابن جلدتك المتجنس بجنسية اخرى فهو أخوك فى الدم الاصلى) [1] لكنه أصدر فتوى اعتبرت المسلم الذى يعتنق الجنسية الفرنسية بطلب منه يعتبر مرتدا لانه يقبل طوعا الخروج من احكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بحالته الشخصية (الزواج ، الطلاق ، الميراث . . الخ) وكان نص الفتوى (التجنيس بجنسية غير اسلامية يقتضى رفض احكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الاسلام عد مرتدا عن الاسلام بالاجماع ، فالمتجنس مرتد بالاجماع والمتجنس بحكم القانون الفرنسى ، يجرى تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليهم باخراجهم من حظيرة الاسلام وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه ، وأثمها متجدد عليه ما بقى له نسل فى الدنيا خارجا عن شريعة الاسلام بسبب جنايته) [2] أما فتواه عن ابناء المتجنسين بالجنسية الفرنسوية ، هل يجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ؟ كان جوابه (أين المطورنى) اذا كان مكلفا ولم يعلم منه انكار ما صنع ابوه والبراءة منه فهو مثل ابيه لا يصلى عليه ولايدفن فى مقابر المسلمين وان كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الاسلام يدفن معنا ونصلى عليه) [3] .

ولعل الاتجاه الاندماجى - رغم محدوديته - كان من أبرز النتائج التى حققتها نظرية المركزية الاوروبية لان أنصاره عبروا عن انبهارهم بالحضارة الغربية وتنكروا للماضى إلى حد القطيعة مع الموروث ، وهؤلاء كانوا محل سخرية عند المحافظين الذين اتهموهم بالكفر *

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٨

(٢) محمد الطاهر فضلاء : دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، ص ١٦٠ - ١٦٢

(٣) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٤

* من ضمن الابيات التى قيلت فى الدكتور ابن جلول الذى تزوج فرنسية وانجب عنها طفلا سماه صالحا

حيوا الحكيم ولا تنسوا قرينته
فهو السليمان وهى بلقيس
له غلام أطال الله عمرته
تنازعت فيه العرب والفرنسيس
لا تعذلوه ان خان امتـــه
فنصفه صالح ونصفه موريس

عمار مخلوف : المرجع السابق ، ٧

تصدى أبن باديس للافكار الاستعمارية التى حاولت التشكيك فى عروبة الجزائر ، بدعوى أن العرب الفاتحين ليسوا الا غزاة للبلاد التى يتكون سكانها أساسا من العنصر البربرى ، فكتب تحت عنوان (كيف صارت الجزائر عربية) مقارنا فى رده على دعاوى الاستعمار الفرنسى بين تكوين الشعب الفرنسى وتكوين الشعب الجزائرى ، ويؤكد أن اختلاط الدماء فى فرنسا وفى الامم الاوروبية قائم ولم يحل ذلك دون أن تكون فرنسا امة واحدة بينما نجد فى قراها وبعض جبالها من لا يحسن اللغة الفرنسية ولكن ذلك القليل - نظرا للاكثرية - لم يمنع من أن تكون فرنسا أمة واحدة ذات لغة رسمية واحدة ويضيف (وهذه الحقيقة الموجودة فى فرنسا يتعامى الغلاة المتعصبون عنها ، ويحاولون بوجود اللغة البربرية فى بعض الجهات وجودا محليا وجعل عدد قليل جدا بالعربية فى رؤوس الجبال أن يشككوا فى الوحدة العربية للامة الجزائرية التى كونتها القرون وشيدتها الاجيال) .

كان أبن باديس يرى أن المصلحة العامة من أصول الدعوة الاسلامية وعندها (يجب تناسى كل خلاف يفوق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر الثغرة ويتحتم التآزر والتكانف حتى تتفرج الازمة وتزول الشدة) [1] ، ومن هنا صيحته التى أطلقها سابقا أن دعوته لايخشاها النصرانى لنصرانيته ولا اليهودى ليهوديته ولا المجوسى لمجوسيته معناها البعد عن الطائفية والشقاق ودعوة إلى بناء الوحدة الوطنية على أساس من نظرة الاسلام إلى وحدة الدين الالهى ومن ثم وحدة المتدينين بهذا الدين الواحد مع تعدد الشرائع التى هى طرق يسلكونها للتدين بالاصول المتحدة للدين الواحد ، وتحت عنوان (ما جمعته يد الله لاتفرقه يد الشيطان) كتب يقول (أن ابناء يعرب وابناء مازيغ قد جمع بينهم الاسلام منذ بضع عشرة قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم فى الشدة والرخاء وتؤلف بينهم فى العسر واليسر وتوحدهم فى السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه وأبوه الاسلام ، فأى قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن

(١) عمار طالبى . المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٤

تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب والامانى الخوادع ياعجبا لم يفترقوا وهم الاقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوى ، كلا والله بل لاتزيد كل محاولة للتفريق بينهم الا شدة فى اتحادهم وقوة لرابطتهم) [1] .

(الموقف من حضارة الغرب)

أدرك أبن باديس - كما أدرك غيره من المجددين للفكر الاسلامى ورواد التنوير العربى - أن الحضارة دورات وأن أوربا تأثرت بالعلم والمعرفة للعرب فى العصور الوسطى ، نراه يؤكد (نقلت المدنية الاسلامية أصول المدنيات السابقة نقل الامين ونخلتها نخل الناقد البصير ، وزادت عليها من نتائج افكارها وثمار اعمالها ما كان الاساس المتين لمدنية اليوم) ويضيف (الاسلام هو أبو المدنية أمس واليوم وأعنى بمدينة اليوم المدنية من جهة العلم والعمران لا من جهة الاخلاق والاجتماع فهنالك ما يتبرأ منه الاسلام) [2] ، ومن هنا انطلقت دعوته إلى أن نأخذ العلم من حيث انتهت اوروبا وهى دعوة لايداريها عندما دعا الشباب إلى أخذ العلم (بأى لسان كان وعن أى شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب ، كما أخذه الاوروباويون من اجدادنا وطبعوه بطابعهم النصرانى وانتفعوا به) [3] .

---

(١) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .
عمل العلماء المسلمون على التقريب بين السنة والشيعة وبين العرب والبربر بالقاء المحاضرات وفتح المدارس ونشر الكتب التى تتحدث عن تاريخ بلادهم وتعمل على تمجيده وأدخل العلماء تدريس تاريخ العرب الحديث إلى الجزائر وكانوا يعلمون طلابهم أن جميع سكان افريقية الشمالية من اصل عربى وكانوا ينشرون القول بأن العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا وأنهم أول من حاول الطيران وكانوا يمجدون الفتوحات ويتذكرون بشوق انجازات المسلمين فى العصر الذهبى للاسلام ، وقد اشاد أبن باديس بكتابات بعض أفراد الجماعة خاصة محمد الهادى السنوسى الذى اصدر (شعراء الجزائر فى العصر الحاضر) عام ١٩٢٦ ، ومبارك الميلى الذى اصدر (تاريخ الجزائر فى القديم والحديث) عام ١٩٢٨ ، وأصدر الجزء الثانى عام ١٩٣٢ ، وابنه محمد الميلى الذى أصدر الجزء الثالث بعد استقلال الجزائر ، وأحمد توفيق المدنى الذى اصدر كتاب (كتاب الجزائر) عام ١٩٣٢ وأبرز فيه الخصائص القومية للتاريخ الجزائرى منذ القدم .
(راجع : أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ، جلال يحى : السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ص ٢٧٩ وكتاب على مراد Merad ، ص ١١٧)
(٢) - (٣) عمار طالبى . المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ج ٤ ص ٣٤٠

وحاول أن يمحو فكرة الصراع بين العلم والدين وأكد اكثر من مرة ارتباط الفكر الاسلامى بالعلم والتعليم والحضارة واكد (أنه لو كان هناك تعارضا بين علوم العصر وبين الدين لما دخلت العلوم الحديثة فى القرنين الثامن عشر والتاسع إلى الشرق على ايدى رجال الدين والمصلحين امثال محمد عبده) [١] .

ومع عدم رفض أبن باديس وجماعته لما هو ايجابى فى حضارة الغرب والاستفادة منها خاصة فى الجانب المادى العمرانى وتحول الشعور لدى بعضهم بضرورة الجديد إلى وعى لضرورة هذا الجديد فى هذه الحضارة الحديثة وتمييز الصالح من الطالح فيها ، الا أن الرفض أنصب أساسا على القيم الاخلاقية التى تمثل العنصر العضوى للعقيدة الاسلامية والتى لا يمكن الاستفادة منها من الغرب الاوروبى ، وتمسك أبن باديس بالتصور المطروح منذ فترة طويلة حول تفوق الشرق على الغرب فى الثقافة الروحية ـ الاخلاقية وجرى التأكيد على النزعة الانسانية الفريدة للحضارة العربية الاسلامية كدين مقابل تمدن الغرب البراجماتى وحاول ابراز الجانب الاخلاقى كعامل مهيمن على الحياة الاجتماعية ، وكان من الملاحظ آنذاك وجود أدانه متكررة لتردى الاخلاق الناشىء فى اعتقاده تحت تاثير نمط الحياة الغربى ، لقد رأى مثلا فى البغاء والسكر والعاب القمار وتحرر المرأة صفات ثابتة فى المدنية الغربية التى حاولت تفويض مبادىء الاخلاق التى ورثت عن السلف الصالح ، ومن ثم دعوته إلى عدم الاغترار بالمظاهر الكاذبة لهذه المدنية وإلى عدم الانجرار وراء التقليد الاعمى لها ، تصدى أبن باديس لتيار المدنية الغربية التى أخرجت المرأة عن حدود دينها ووظيفة انوثتها ، ودعا إلى تعليم المرأة للقيام بوظيفتها تربية اخلاقية تكون بها المرأة امرأة (لانصف رجل ونصف امرأة) [٢] فالتى تلد لنا رجلا يطير خير من التى تطير بنفسها على حد قوله ويتفاقم وضع الشعور بالتفوق الاخلاقى

---

(١) عبد الحميد درويش : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) عمار طالبى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٤٧٥ .

(الروحى) مع شعور جماعة العلماء بتأخر الجزائريين بالمقارنة إلى الانجازات الاوروبية العلمية ولم يكن افراد هذه الجماعة مهيئين لفهم المجتمع الاوروبى وقيمة الروحية فهما صحيحا فقد كان من شأن نمط الحياة والتربية الاسلامية التقليدية ما يحول دون استيعاب الانطباعات المتكونة لديهم وتفهمها ، أى ادراك الخصوصية للقيم والاخلاق الاوروبية ، * كانت ثقافة الفرسيس مستهجنة من غالبية الشعب الجزائرى الذى لم يكن قد نسى الغزو الفرنسى لبلاده ، ولم يكن التطور الداخلى للسياسة الفرنسية قد اجبرت ـ كما رأينا ـ غالبية الشعب الجزائرى بعد على التقارب السريع مع فرنسا ، الذى لم يكن تاثيرها يمتد الا إلى أعلى الفئات الاجتماعية (النخبة) دون أن يمس حياة الشعب ، كانت العقيدة والعادات والتقاليد تتصدى لحضارة الغرب بقوه ، من ناحية اخرى رأت جماعة العلماء أن السير خلف الحضارة الغربية فى وقت وصلت فيه هذه الاخيرة إلى طور الشيخوخة يعتبر خطأ ووقوع فى مأزق خطير سيما وأنهم قرؤوا للمفكرين آراء تعتبر الحضارة الغربية فى طورها الاخير وأن (أوروبا انتهت من تمثيل دورها التاريخى وأنه لايمكن قيام حركة جديدة بعد الان الا من الشرق) [1] .

عرى أبن باديس الحضارة الغربية بما حملته من شعارات زائفة ، وهى وأن كانت قد عمرت الارض الا أنها أفسدت الانسان وعذبته بالازمات الخانقة وروعته وهددت وجوده

---

* Desparment: L'Historie des Arabes et Oulemas d'Algerie I' Afrique Francaise (May 1934) P. 274-281.

(١) بو الصفصاف : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

يظهر وعى أبن باديس بالتطور التاريخى للمجتمعات الغربية عندما حاول أن يعقد مقارنة بين حركته الاصلاحية التجديدية الاسلامية وحركة الاصلاح الدينى فى اوروبا Reformation ويظهر أنه كان عالما بالتطورات الحديثة فى كثير من ميادين العلم خاصة ما أتصل بتفسيره للقرآن الكريم ، ففى البصائر (١٩ اغسطس ١٩٣٨ كتب يقول) (أن الذين يعرفون التاريخ النصرانية فى القرون الوسطى وتاريخ النهضة الاوروبية يشهدون اليوم من اعمال الجمعية الدينية الاصلاحية وموقف الادارة إلى جنب الزوايا الطرقية تمثل الكنيسة ورجال (الاكليروس) فى ذلك العهد السحيق فى افساد العقول والنفوس بالدجل والتخريف والادارة تمثل امراء ذلك العهد فى استعمال الكنيسة واستغلالها والجمعية الدينية الاصلاحية تمثل رجال الاصلاح على فارق فى الوضع والاسلوب .

بالفتن والحروب المخربة الجارفة والقوة عند الامم الغربية فوق العدل والحق والرحمة والاحسان ويدل هذا فى رأيه على فساد فى الاخلاق واعوجاج فى الاعمال ، كذلك حاول أبن باديس على حد قول أحد الباحثين [1] ، أن يزيل ما علق بالاذهان عن أوهام وادعاءات تفترض أن السبب المباشر فى التمدن الغربى هو الانسان الاوروبى الذى يملك استعدادات وقدرات ذاتية تؤهله للقيام بعملية التمدن ، بينما يفتقد الانسان المسلم خاصة والشرقى عموما مثل هذه القدرات مما جعل تقدم الشرق ورقيه امرا عسيرا المنال ، فطرح هذه القضية بهذه الصورة الساذجة مجاف للحقيقة ومخالف لمنطقية الاشياء فالتقدم والتأخر ليسا مرهونين بالنواحى العرقية والجنسية للانسان ، انما الامر كله مرهون بمقدار تمسك هذا الانسان أوذاك بأسباب الحياه والعمران والتقدم ، أخيرا أدرك أن هذه الحضارة الغربية قد قامت دعائمها أساسا وتقدمها عن طريق استغلال واضطهاد شعوب المستعمرات ومن هنا كانت صيحته إلى اعلنها فى عدد ٣٢ من (البصائر) (٢٨ اغسطس ١٩٣٦) (وما اعداؤك الا الذين وقفوا لك فى طريق الحياة والتقدم منذ عرفتهم وعرفوك ، فسدوا عليك أبواب الرزق والعلم ، وسلبوك الحرية والثروة واستغلوك كما تستغل الحيوانات العجماء ، بل أشد وأشر) .

---

(١) سلوادى : عبد الحميد بن باديس مفسرا ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩

مصـــادر ومراجـــع الدراســـة

(١) أبو القاسم سعد الله (د) : الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٥٥ ـ ١٩٣٠) الجزء الثانى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، الجزائر ١٩٨٣، الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٣٠ ـ ١٩٤٥) الجزء الثالث معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٥ .

(٢) أجريتو (مارسيل) : الوطن الجزائـرى ترجمة عبد الله نوار ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .

(٣) اجيرون (شارل روبير) : تاريخ الجزائر المعاصرة ترجمة عيسى عصفور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٣ .

(٤) أحمد توفيق المدنى : هذه هى الجزائر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ حياة كفاح (مذكرات) ١٩٢٥ ـ ١٩٥٤ القسم الثانى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزئر ١٩٧٧ .

(٥) أحمـــد أميـــن : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٦) أدمس (تشـــارلس) الاسلام والتجديد فى مصر ترجمة عباس محمود ، مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٣٥ .

(٧) السـيد عشـماوى (د) : القومية والوطنية عند الامام المصلح عبد الحميد بن باديس دراسة نشرت فى جريدة النصر (الجزائرية) ١٦ ـ ١٨ ابريل ١٩٨٥ .

(٨) أنـور الجنـدى : تراجم الاعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠ .

(٩) بو الصفصاف (عبد الكريم) : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها فى تطور الحركـة الوطنيـة الجزائريـة الطبعـة الاولى ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة (الجزائر) ١٩٨١ .

(١٠) بونداريفسكى : الغرب ضد العالم الاسلامى من الحملات الصليبية حتى أيامنا ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٥ .

(١١) جب (هاملتون) - برون (هارولد) : المجتمع الاسلامى والغرب الجزء الاول ، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف القاهرة ١٩٧١ .

(١٢) جـلال يحـى (د) : لسياسة الفرنسية فى الجزائر (١٨٣٠ ـ ١٩٦٠) الطبعة الاولى ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٥٩ .

(١٣) جليسبى (جـوان) : ثورة الجزائر ترجمة عبد الرحمن أبو طالب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ .

(١٤) حسـن بوعيـاد : الحركة الوطنية والظهير البربرى مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ١٩٧٩ .

(١٥) حسـن سلوادى : عبد الحميد بن باديس مفسرا المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٤ .

(١٦) خير الديـن الزركلـى : الاعـلام الجزء الرابع (مادة أبن باديس ص ٦٠) الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ .

(١٧) رئيف خوري : الفكر العربي الحديث (اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي) منشورات دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ١٩٤٣ .

(١٨) زاهر رياض (د) : استعمار افريقية المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ .

(١٩) عباس محمود العقاد : الاسلام في القرن العشرين ، حاضره ومستقبله منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٧٩ .

(٢٠) عبد الحميد درويش عبد الحميد : عبد الحميد بن باديس وأراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب ـ جامعة القاهرة ١٩٨٢ .

(٢١) عبد القادر الشاوي : السلفية والوطنية مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨٥ .

(٢٢) عبد الله شريط (د) : معركة المفاهيم الشكة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٢ .

(٢٣) عثمان الكعاك : البربر تونس ، ١٩٥٦ .

(٢٤) عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٢ .

(٢٥) علي المغربي : سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣٥) المطبعة الاسلامية الجزائرية .

(٢٦) عمار طالبي (د) : أبن باديس ـ حياته وآثاره (٤ اجزاء) ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٨٣ .

(٢٧) عمـار مخلـوف : ملامـح الحركة الثقافيـة قبل حـرب التحرير مقال فى جريدة (النصر) الجزائرية ، ٢٩ مايو ١٩٨٦ .

(٢٨) فيكـس (ليـون) : الجزائر حنف الاستعمار منشورات مكتبـة المعـارف ، بيروت (غير معروف تاريخ الطبع) .

(٢٩) فيليـب رفلـه : الجزائر تقديم دكتـور عز الدين فريد وأحمد توفيق المدنى ، مكتبة الصباح ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٣٠) لوثـروب (سـتودارد) حاضر العالم الاسلامى الجزء الاول ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

(٣١) ليفيـــن (ز . أ) الفكر الاجتمـاعى والسياسى الحديث فى لبنـان وسوريـا ومصر ترجمة بشير السباعى ، الطبعة الاولى ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٨ تطور الفكر الاجتمـاعى العربى (١٩١٧ ـ ١٩٤٥) ترجمة د . أنـور محمـد ابـراهيم ، الطبعـة الاولى ، دار العالم الجديد ، القاهرة ١٩٨٨ .

(٣٢) ماسـنيون (ل) : وجهة الاسلام ، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى ترجمة محمد عبد الهادى أبو زيده ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٣٤

(٣٣) مالـــك بـن بنـــى : شـروط النهضـــة تـرجمـة عبـد الصبور شـاهين ، دار الفكـر ، طـرابلس ، لبنـان ١٩٧٩ مـذكـرات شـاهـد للقرن القسـم الاول والثانـى (١٩٠٥ ـ ١٩٣٩) الطبعـة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٤ . مقدمة لكتاب عمار طالبى عن (أبن باديس ، حياته واثاره) ج ١ بيروت ١٩٨٣

(٣٤) محمـد البهـى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بـالاستعمار الغربى مطبعة أحمد على مخيمر ، القاهرة ١٩٥٧

(٣٥) محمـد الطاهـــر فضـــلاء : دعائم النهضـة الوطنية الجزائريـة الطبعة الاولى ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينه (الجزائر) ١٩٨٤

(٣٦) محمد الميلي : أبن باديس وعروبة الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٣ .

(٣٧) محمد عمارة (د) : عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ ـ ١٩٤٠) عودة الروح القومية إلى شعب عريق وجريح ملف (الطليعة) ، نوفمبر ١٩٧٢ (ص ٧٨ ـ ٩٥) . العرب والتحدى (عالم المعرفة (٢٩) الكويت ، مايو ١٩٨٠ . تيارات اليقظة الاسلامية الحديثة دار الهلال ، القاهرة ١٩٨٢ .

(٣٨) محمد فريد (بك) : من مصر إلى مصر (رحلة محمد فريد إلى ايطاليا وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومالطة) مصر ١٩٠٢ .

(٣٩) محمد ناصر (د) : المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها تطورها ، اعلامها (١٩٠٣ ـ ١٩٣١) المجلد الاول والثانى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٨ .

(٤٠) محمود قاسم (د) : الامام أبن باديس مطبعة دار المعارف بمصر

(٤١) مفدى زكريا : الياذه الجزائر نظمها خصيصا للملتقى السادس للفكر الاسلامى ، مطبعة البعث (١٩٧٢) .

(٤٢) موسى الاحمدى : أعلام الجزائر ، الامام الرائد محمد البشير الابراهيمى فى ذكراه الاولى جمع محمد الطاهر فضلاء ـ مطبعة البعث ، قسنطينة الجزائر ١٩٦٧ .

(٤٣) هانوتو (جبرييل) الاسلام والرد على منتقديه مقالات منشورة ضمن هذا الكتاب ، طبعة القاهرة ١٩٢٨ .

(٤٤) يونج (يوجين) : استبعاد الاسلام مطبعة النهضة ، شارع عبد العزيز مصر ١٩٢٨ .

(45) Bernard, Augustin: Histoire des Colonies Francaises, Paris, 1920.

(46) Des parment, J.:Un reformateur Contemparain en Algerie, (L.AfriqueFrancaise, March (1933))

L'Histoire des Arabes et les Oulemas d'Algerie

(L'Afrique Francaise, Mai (1934))

(47) Julien, Ch.Andre: L'Afrique du Nord en march, Paris 1952.

(48) Hourani, A.:Arabic Thought in the liberal age 1798-1939) Oxford, 1967.

(49) Merad, Ali: le Reformisme Musulman en Algerie (1925-1940) Paris 1967.

(50) Rousseau, J.J.: Du Contrat Sccial, ed Garnier Freres, Paris 1963.